المدارس النحوية:

مصطلح يشير إلى اتجاهات ظهرتْ في دراسة النّحو العربي، اختلفتْ في مناهجها في بعض المسائل النحوية الفرعيَّة، وارتبط كل اتجاه منها بإقليم عربي معين، فكانتْ هناك مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد وهكذا، ولم يكن لهذا الارتباط المكاني دلالة علمية خاصة.ويرى بعض الباحثين أن القدماء لم يُطلقوا على مسائل الخلاف في النحو القديم كلمة مدرسة، فلم يؤثر عنهم مصطلح المدرسة البصرية، ولا مصطلح المدرسة الكوفية، ولا مدرسة بغداد، ولكننا نقرأ من قولهم :مذهب البصريين، ومذهب الكوفيين، ومذهب البغداديين، وربما ورد في قولهم: مذهب الأخفش، ومذهب الفراء، ومذهب سيبويه، وغير ذلك، غير أن المعاصرين استحسنوا لفظ المدرسة فاستعاروها في مادة الخلاف النحوي، كما استعاروها في مسائلَ أدبية أخرى، فأطلقوا على بناء القصيدة عند أوس بن حجر - مثلًا - بناءً خاصًا يختلف عما عند غيره من الجاهليين، واستمرأ هذا النهج في الاصطلاح بعضُ الباحثين، فكانت مدرسة الديوان، وهكذا قيل عن الأدب في المهجر، على الرغم من الخلاف الكبير بين أدباء المهجر في منازعهم الفكرية.

ولعل مِن هذا ما ذهب إليه الباحثون المعاصرون في تاريخ النحو والنحاة، فأثبتوا مصطلح المدرسة في نحو البصريين، ومثله مدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد أو غير ذلك، غير أنك حين تنظر في التراث النحوي لا تجد جمهرة النحاة - بصريين وكوفيين وغيرهم- قد اختلفوا في أصول هذا العلم، ولم ينطلق هؤلاء مِن أفكار متعارضة، ولكنهم قد اختلفوا في مسائل فرعية تتصل بالتعليل والتأويل، فكان لهؤلاء طريقة أو مذهب ولأولئك طريقة أو مذهب آخر، وقد يكون الاختلاف بين بصري وبصري كما كان بين كوفي وكوفي آخر، ولا تعدم أن تجد بصريًا قد وافق الكوفيين، وكذلك العكس.

وإليك نبذة من المحاولات المبكرة لنشأة النحو، فأصبح مهدا لظهور المدارس النحوية:-

المحاولات المبكرة لظهور النحوفي عصرما قبل الاسلام :

نشأت اللغة في الجزيرة العربية خالصة لأبنائها نقية من دخيل اللغات الأخرى لشية فيها ، وظلت كذلك حين كان القصيد العربي فن العرب الأول معتمدا على عطائها.

وأضحت أسواق العرب بما فيها من حشد تكافي مؤكدة لثوابت هذه اللغة محققة قيم الصواب فيها، ومن أشهر هذه الأسواق (سوق عكاظ) بين الطائف ونخلة ، و(مجنة) بمر الظهران ، و(ذي المجاز) خلف عرفة.

ومن ثم لم يكن من المستغرب أن يبدو حق النحو موجودا وإن كان غامق الحدود، وما كان تثقيف الشاعر الجاهلي لحوليته وقفا على مراد الدلالة والجمال وحدهما وإنما ارتبط الحول والتثقيف بجوانب الصحة التي ترتكز على النحو والصرف معا .

فالأدراك اللغوي الذي اعتمد الصحة والجمال وقتها كان واحدا ؛لأن الباحث عن جمال لابد أن يسلك أولا طريق الصحة والصواب .

في هذا الوسط البعيد كان الوعي بقيم النحو أمرا واردا وإن كان غامضا ومن خلاله أدرك هذا الوسط الثقافي خطأ النابغة حين قال :

أمن آل مية رائح أو مغتدى ... عجلان ذا زاد وغير مُزَوَّدِ

زعم البوارح أنَّ رحلتنا غدًا ... وبذاك خَبّرنا الغرابُ الأسودُ

وكان النابغة كثيرًا ما يُقوِي في شعره، وقد أراد أهل يثرب أن يدلُّوه من طرف خفي على خطئه، فأوحوا إلى جارية تغنيه بالأبيات السابقة، وأن تتعمد إظهار الحركات المختلفة بالضم والكسر؛ ففعلت، ففطن النابغة لشعره؛ فأصلح خطأه فجعل عجز البيت الثاني:

وبذاك تنعاب الغراب الأسود. فقد أدرك المتلقي بفطرته حدود الخروج عن الهائم وقتها وقام بالتوجيه من خلال قينة دست للنابغة محكم الشعر الجاهلي توحي إليه بالصواب دون أن يواجه النابغة تصريحا بخطأه ، وفي هذا الصنيع يظهر أدب الاعتراض العلمي جليا .

وعلى أساس من هذا التوجيه حقق النابغة مضمون الصواب وهو مضمون وعي أبعاد الجر والرفع والنصب وذلك بتغيير التركيب اللغوي إلى تركيب آخر يراعي حق التبعية قائلا:

وبذاك تنعاب الغراب السود.

تلك خطوة لغوية تمثل إرهاصا يثبت وعي البيئة بأن هناك قانونا مثلته وأفضحت عنه سليقة المبدعين وسليقة المتلقين، وذاك حال العرب في عصر الجاهلي في التعامل مع مثل هذه الحالات المخالفة للقوانين اللغوية.

المحاولات الجادة لاستكشاف اللحن ووضع أسس النحو بعد مجيء الاسلام:

في عصر صدر الاسلام قبل أن تبدأ ظاهرة اللحن التي لم تستقر أمرها في إطار النحو وحده بل داست على النحو والصرف والاصوات فقد اضحت ظاهرة عامة أكدتها ازدواجية المتكلم وقتها لأنه لم يكن عربيا خالصا في تلك الظاهرة يقول أبو الطيب اللغوي :

" واعلم أن أول مااختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم: الإعراب ؛ لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ولعل ثبتا لورود الخطأ اللغوي والعمل على رده يؤكد حرص البيئة وقتها على سلامة العربية ولم يكن علماء اللغة وحدهم أول من أحس بالخطأ فقد كان أولي الامر أشد رفضا لوجوده وأوضح تلمسا لطريق الصواب.

يروى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم: أن رجلا لحن بحضرته فقال صلى الله عليه وسلم: "أرشدو أخاكم فقد ضل" .

فالخطأ لم يسلم منه الصحابي في حضرة المصطفى ورد المصطفى ردا نبويا يقيم قاعدة يطلب فيها الارشاد وإنارة الطريق بناء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحكم على الخطأ ضلالا ، فإن مفهوم المخالفة يثبت أن الصحة من باب الهدى.

وقال أبو بكر الصديق : لأن أقرأ فاسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن. ويروى أن أحد ولاة عمر (رض) كتب كتابا لحن فيه فكتب عمر إليه أن قنع كاتبك سوطا.

وما روي عن عمر بن الخطاب (رصي الله عنه) أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (رحم الله امرءا أصلح من لسانه) فما هي الطريقة التي يصلح بها الإنسان من لسانه إذا لحن ؟ إنها طريقة النظر فيما كان له قانون .

وما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا قال: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد من المروءة. فمن أين وكيف نتعلم العربية بدون أن يكون لها قانون قد وضع.

وما وري من أمر علي (رضي الله عنه) أو عمر (رضي الله عنه) أو زياد بن أبيه في قصة المقرئ الذي أقرأ الأعرابي : (أن الله برئ من المشركين ورسوله) بالجر , بأنه لا يقرأ القرآن إلا عالم بالعربية فمن أين يأتي قانون العربية إذا لم يكن هناك ضابط وإلا فنطق العرب بالعربية بدون ضابط سواء يستوي في ذلك جميعهم ولا يوصف أحدهم فيها بعلم عن غيره.

ومر عمر بن الخطاب (رض) على قوم يسيئون الرمي ، فقرعهم ، فقالوا : إنا قوم "متعلمين" فأعرض مغضبا وقال: والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم. فصواب اللغة واكتمال أدواتها أهم مطلبا لدى عمر من اتقان حرفة القتال التي يستعد بها المسلم للجهاد في سبيل الله. هل لنا أن ندرك مغزى هذه المفارقة لدى عمر بين خطأ االلغة وخطأ الرمي؟

هكذا كان الخلوص للعربية واضحا في زمن لم تختلط فيه الأمور وحين ضاع صفاء ناطقها بدا الاحساس بمشكلة اللحن كبيرا ولم يتوان المسلمون وقتها لدفع شائبة اللحن عنهم غيره على الدين والاسلام وحرصا على اللغة والبيان الراقي الرفيع وتأكيدا لكون الصواب سمة من سمات النبل ومشادة الكرامة والسيادة.

يقول عبد الملك بن مروان : الإعراب جمال للوضيع واللحن هجنة على الشريف ، وقد قيل له: لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، فقال: شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن، وفي هذه المنطقية المروانية التي تجعل اللغة سبيلا لمفارقة طبقية اجتماعية تتكلم هند بنت اسماء بن خارجة فتلحن عند الحجاج عامل عبد الملك بن مروان فيقول لها:

"أتلحنين وأنت شريفة وفي بيت قيس".

دالا على أن عزوة قيس وقيمتها ترتبط بنقاء لغتها ، فردت عليه قائلة: أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الانصارية ، قال: ما هو، قالت: قال: منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا. فقال لها الحجاج: إنما عني أخوك اللحن في القول إذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية، ثم وجه إليه أمره قائلا : أصلحي لسانك.

هكذا كان حرص العلماء على توقي اللحن والحفاظ على صواب اللغة وقد قدر ذلك الخلفاء الأمويون والعباسيون وكان النحاة مؤدبي ومعلمي أولادهم وفي ظل هذا التقدير وفي ظل الصراع بين المبدع والناقد يدن محاور الخلاف بين اللغويين والأدباء ألفت بظلها مع الحرص على لغة لقرآن وتوقي اللحن إلى تشكيل علم النحو العربي.

واضع علم النحو:

علمت اجمالا أن واضعه من رجالات عصر الاسلام ، لكن المختلف فيه من قبل المتقدمين والمتأخرين من النحاة والمؤرخين هو من المؤسس والواضع الرئيسي لهذا العلم، والكلام على ذلك لايعدو إما الإمام علي كرم الله وجهه ، كما يرى الأنباري والقفطي، أو أبو الأسود الدؤلي كما يراه ابن سلام في طبقات الشعراء ، وابن قتيبة في المعارف ، والزجاجي في الأمالي، وأبي الطيب اللغوي في مراتب النحويين، والسيرافي في أخبار النحويين البصريين ، وابن النديم في الفهرست. أما عزو الوضع إلى نصر بن عاصم الليثي أو عبد الرحمن بن هرمز فغير صحيح لايستند إلى أدلة مقنعة.

يقول الأنباري في نزهة الألبا: اعلم أيدك الله تعالى بالتوفيق ، وارشدك إلى سواء الطريق ، أن أول من وضع العربية علم العربية وأسس قواعده وحد حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي....، وسبب وضع علي لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة فقلت : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسدت بمخالطة الحمراء ، يعني الأعاجم فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه

، ثم ألقى إلي الرقعة وفيها مكتوب : الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبىء به ، والحرف ما أفاد معنى ، وقال لي : انحُ هذا النحو ، وأضف اليه ما وقع إليك ، ولهذا آثر العلماء تسمية هذا العلم باسم (النحو) استبقاءا لكلمة الإمام التي كان يراد بها معنى اللغوي للنحو، إذ أنه كان مشهورا ب(العربية) كما قال ابن سلام في الطبقات: وكان أول من استن العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها ، أبو أسود الدؤلي،

وقال ابن قتيبة في المعارف: أول من وضع العربية أبو الأسود، وقال ابن حجر في الإصابة: أول من ضبط الصحف ووضع العربية أبو الأسود .

ويقول القفطي (646هـ): رأيت بمصر في زمن الطلب بايدي الوراقين جزءا فيه أبواب من النحو يجمعون على أنه مقدمة علي بن ابي طالب التي اخذها عنه أبو الأسود الدؤلي.

وروي عن أبي الأسود أنه سئل، فقيل له: من أين لك هذا النحو ؟ فقال: لفقت حدوده من علي بن أبي طالب. اذا ليس بغريب على أبي الأسود أن ينسب أول وضعه إلى علي فإنه من شيعته ومحبيه تيمنا ببركته ، فقد كان علوي الرأي ، يجاهر بتشيعه وهواه، فيمدح الإمام بالقصائد الحسان، وعمال البصرة وسواد العراق يشقون عليه ويعنتونه ، حتى بنوقشير الذين جاورهم وصاهرهم بزواجه منهم امرأته أم عوف أجرموا معه ، فسبوه ونالوا من علي كرم الله وجهه إيلاما له ، وقذفوه ليلا بالحجارة حيث أنهم كانوا عثمانيي. وكان يردعليهم بقوله:

يَقولُ الأرذَلونَ بَنو قُشَيرٍ طَوالَ الدَهرِ لا تنسى عَليّا
فقُلتُ لَهُم وَكَيفَ يَكونُ تركي مِنَ الأعمالِ ما يُقضى عَلَيّا
أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَديداً وَعَبّاساً وَحَمزَةَ وَالوصِيّا

وَجَعفَرَ إِنَّ جَعفَرَ خَيرَ سِبطٍ شَهيداً في الجِنانِ مُهاجِريّا

وَما أَنسى الَّذي لاقى حُسَينٌ وَلا حَسَنٌ بِأَهوَنِهِم عَلَيّا

بَنو عَمِّ النَبيِّ وَأَقرَبوهُ أَحَبُّ الناسِ كُلِّهِمُ إِلَيّا

فَإِن يَكُ حُبُّهُم رُشداً أُصِبهُ وَفيهِم أُسوَةٌ إِن كانَ غَيّا

فقالت بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في قولك: فإن يك حبهم . فقال: أما سمعتم قول الله تعالى : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين.

ولقد اتفق العلماء متقدمين ومتأخرين على أن أبا لأسود هو الذي ابتكر شكل المصحف، عمل يقف به عند الخطوات الحقيقية التي وعت حق النحو. فمع كثرة اللحن في الكلام ووصوله إلى النص القرأني كانت الفزعة التي أوصلت إلى صنيع أبي الأسود وهو نقط الشكل الذي اعتمده في محاورته النطقية قائلا لكاتبه:

" إذا وجدتني ضممت شفتي فضع نقطة فوق الحرف....."

وكانت هذه النقاط دالة على أهم تشكيل للموقع النحوي من خلال توضيح المرفوع من المنصوب من المجرور ؛ والذي ظهر في صنيع أبي الأسود لايمكن أن يوصل بالنحو وحده فما أظن أن البنية كانت غائبة وإن لم ينقط ، ذلك أنه من غير المنطقي أن يكون النقط جزءا من وعي القاريء بموقع العلاقة وحدها ؛ لأنه كما من المنطوق نهايته في إطار المبني لا المعرب الذي لا يغير موقعه الارتكاز أو عدمه على تشكيل آخره للزوم هذا الآخر شيئا واحدا.

وفي صنيع أبي الأسود يلمس الدارس أمرين :

أ. أن أبا الأسود كان الناطق المسجل لحق العلامة بناءا على ادراك لحق المتلو وبناءا على ادراك بسياقات وقياسات . فدوره دور القاريء والمتلقي معا.

ب. أن كاتبه كان المستمع المسجل لما يرى ناقلا بأمانة ماحددته حركة الشفاه نقلا أمينا لا تحريف فيه.

لا تهوين من صنيع أبي الأسود هذا المتفق عليه فهذا عمل يكفيه أن يكون لبنة أولى في التفكير النحوي؛ لأن فيه تحركا صوب العلامة التي كانت وقتها ركنا من أركان سلامة التركيب اللغوي .

وروى عاصم قال: جاء أبو اسود الدؤلي إلى زياد ، وهو أمير البصرة، فقال إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وفسدت ألسنتها ، أفتأذن لي أن أضع للعرب مايعرفون به كلامهم؟ فقال زياد لاتفعل. قال: فجاء رجل إلى زياد فقال : أصلح الله ألأمير ؛ توفى أبانا وترك بنونا ، فقال زياد : توفى أبانا وترك بنونا ؟! ادع لي أبا الأسود فلما جاءه قال له: ضع للناس ماكنت نهيتك عنه، ففعل.

وقد روى ابن النديم في كتابه الفهرست: أن رجلا بمدينة الحديثة اسمه محمد بن الحسين كان جماعة للكتب ، وقد آلت إليه خزانة صديق له كان مشتهرا بجمع الخطوط القديمة ، قال ابن اسحاق: " فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبا ، إن الزمان قد أخلقها ، وعمل فيها عملا أدرسه.....ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته ، وهي أربع اوراق وأحسبها من ورق الصين ترجمتها : هذه فيها كلام في الفاعلوالمفعول من أبي الأسود رحمه

الله عليه بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخط بخط عتيق خط علان النحوي ، وتحته هذا خط النضر بن شميل .

وقد اتفقت جملة الروايات على نسبة علم النحو إلى منشيء واحد وهو أبو اسود الدؤلي هو المؤسس لعلم النحو كما بيناه.

وإليك هذه المدارس وأصولها وقواعدها التي تفردت بها:

1 –المدرسة البصرية:

رغم أن الخلاف يشوب الكثير من تفاصيل نشأة النحو إلا أن إجماع المصادر قائم على اقتران اسمه بمدينة البصرة، وهي التي يُعزى إليها وضع النحو العربي، وتأصيل مناهجه، ففي أحضانها ولد هذا العلم وترعرع قرابة قرن من الزمن. بدأ النحو في هذه المدينة بصورته البسيطة شأنه شأن كل علم في بداية رحلته، وانطلاق شرارة النحو من هذه المدينة جعلها صاحبة أول مدرسة نحوية لها أصولها وقواعدها، وإليها ينتمي رؤوس النحاة الأوائل. وذلك على أيدي أعلامها الكبار، أمثال: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ).
يرى النحاة أنه يعد أول من وضع القياس والعلل، يقول ابن سلام عنه: " كان أول من بعج النحو _أي فتقه_ ومد القياس وشرح العلل، فرع عبدالله بن أبي اسحاق النحو وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتابا مما أملاه".
ويروى أن يونس بن حبيب سأله عن كلمة (السويق) وهو الناعم من دقيق الحنطة هل ينطقها أحد من العرب الصويق بالصاد فأجابه : نعم قبيلة عمرو بن تميم تقولها ، ثم قال له: وماتريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس.

نصوص واردة وإن كانت متفرقة ثبت محاولة ابن أبي اسحاق للوصول إلى تصور منهج للنحو وهي نصوص أكدت حرصه على القياس وبالرغم من أنه كان قارئا نحويا فإنه المعيار لديه كان واضحا في اختيار القراءة التي توافقه.

بيان ذلك: كانت القواعد النحوية التي توصل إليها لا يجيز على خبر كان أن يكون جملة طلبية فلما نظر في قراءة النصب في قوله تعالى :﴿والسارق والسارقةُ فاقطعوا أيدهما﴾. اختارها على قراءة النصب التي لا تتفق مع روايته المشهورة على الرغم شيوع قراءة الرفع عند جمهور القراء ، وعلى الرغم أن القراءة سنة متبعة لاتحكم عليها القاعدة.

يروي ابن سلام في طبقاته : "سمعت رجلا يسأل يونس بن حبيب البصري عن ابن أبي اسحاق وعلمه؟ قال: هو والنحو سواء ، أي هو الغاية . قال فأين علمه من الناس اليوم؟ قال: لو كان في الناس من لا يعلم إلا علمه لضحك به ولو كان فيهم أحد له ذهنه ونفاذه ونظر نظرهم كان أعلم الناس". فالحضرمي خطوة في مجال نشأة النحو تقدر بزمانها وسياقها وهي ماقبلها تحسب في طريق نشأة مدرسة نحوية.

ويبدو أن حرص ابن أبي اسحاق بالقياس وأثره بدا واضحا في تلميذه عيسى بن عمرو النحوي (ت 149هـ) يرث عن ابن أبي اسحاق الطعن على العرب الفصحاء ؛ أي على السماع اعتمادا على ما لديه من قواعد ومع أنه كان شغوفا باللغة وغريبها مما سبب له متاعب كما تحكي كتب النوادر إذ هو صاحب العبارة المشهورة:

"مالكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني"

من أرائه التي اشتهر بها أنه لا يسلم للعرب فصاحة كل ما قالوه، فقد عاب على النابغة قوله:

فبتّ كأنّي ساورتني ضئيلة من الرّقش في أنيابها السّمّ ناقع

فقد قال إن من حق «ناقع» أن تكون منصوبة، و عيسى كان ميالا إلى النصب .

ثم جاء أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب، ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) وله دور كبير في النهوض بالنحو؛ إذ شهد نمواً واسعاً على يده، فقد كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ، وجاء سيبويه (ت 180هـ) فطلع على الناس بكتابه الذي دوّن فيه زبدة الأفكار النحوية التي تلقاها ممن سبقوه من النحاة، فعد أول كتاب وصل إلينا شاملاً ومبوباً ترتيباً في غاية الدقة، فحظي بإقبال وإعجاب معظم دارسي العربية .

وقد سيطر الاتجاه البصري على مجرى النحو العربي في الأغلب الأعم منذ النشأة إلى عصرنا الحاضر حتى إنه يصح أن يُقال إن النحو العربي في تاريخه الطويل نحو بصري ،الذين خطوا خطوات واضحة في مجال تطوير النحو، ثم جاء بعدهم جيل من أعلام النحاة ممن تتلمذوا عليهم فواصلوا السير على نهجهم مع مخالفتهم لهم في المسائل التي تملي عليهم اجتهادهم.

أسبقية البصرة لاحتضان النحو العربي:

أولا: العامل السياسي:

كانت البصرة عثمانية أموية وكانت الكوفة علوية عباسية لقد سكن الإمام علي(كرم الله وجهه) الكوفة واتخذها مقرا لخلافته إذ كان أهل الكوفة مطيعين له فدعوه إليهم في الوقت الذي شق فيه أهل البصرة عليه عصا الطاعة ثم جاءت السيدة عائشة (ت 58هـ) البصرة ومعها جيش طلحة والزبير مطالبين بثأر عثمان وقد كانت موقعة الجمل بين عائشة وعلي فكان ما كان ومن ثم تمسكت كل من البلدتين بما تدين له فاستمرت البصرة هاشمية عثمانية والكوفة قرشية علوية ولما كانت مسألة التحكيم وكان الغانم فيها الأمويين كان طبيعيا أن يكون الاستقرار والطمأنينة والهدوء للبصريين أنصارهم في الوقت الذي كانت فيه

قلوب الكوفيين تغلي على البصريين وتضمر لهم الكراهية والبغضاء يقول الأعشى (ت 83م) على لسان الكوفيين : فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل .

إلا أن هذا لم يدم طويلا فقد تغير الحال وسقطت الدولة الأموية وجاءت الدولة العباسية وكان مبدأ ظهورها في الكوفة إذ تمت البيعة لأبي العباس السفاح (ت 136م) أول خلفائها بدعوته لآل البيت فناصره الكوفيين فحفظ العباسيون لهم هذا الصنيع فعطفوا عليهم وكافئوهم فانقلب ذل الكوفيين في عصر الأمويين إلى عز في عصر العباسيين وأفل نجم البصرة بعد أن كان ساطعا ولئن تقاعست البصرة في عهد العباسيين فقد فازت بقصب السبق في عهد الأمويين على غيرها فتمكنت من حمل لواء رئاسة العربية ولاسيما النحو.

ثانيا: الموقع الجغرافي:

كان لموقع البصرة الجغرافي الأثر البارز في سبقها للاشتغال بالنحو , فالبصرة تقع على طرف البادية مما يلي العراق , فهي أقرب مدن العراق إلى العرب الأقحاح الذين لم تلوث لغتهم بعامية الأمصار فعلى مقربة منها بوادي نجد غربا والبحرين جنوبا والأعراب يفدون إليها منهما ومن داخل البصرة وليست كذلك الكوفة وبغداد فمكن هذا أهل البصرة أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكلفوا مشاق السفر.

ثالثا: قرب سوق المربد من البصرة :

كان للعامل الثقافي أيضا أثر واضح في سبق البصرة للاشتغال بالنحو إذ كانت تنعقد فيها مجالس للعلم والمناظرة ويفد إليها الشعراء ورواتهم فهي تشبه سوق عكاظ في الجاهلية ينزل العلماء والأدباء والأشراف للمذاكرة والرواية والوقوف على ملح الأخبار وكان اللغويون يأخذون عن أهله ويدونون ما يسمعون فيأخذ عنهم النحويون ما يصحح قواعدهم ولم تكن سوق الكناسة بالكوفة إذ أن ساكنيها من الأعراب أقل عددا وفصاحة ممن كان بالبصرة وإن كان منهم لفيف من بني أسد وغيرهم إلا أن أغلبهم يمانيون وأهل اليمن قد فسدت لغتهم لمجاورتهم الحبشة واتصالهم بالهند ومخالطتهم التجار الذي يفدون إليهم من مختلف الأمصار .

مصادر الدراسة ومنهجها عند البصريين:

منهج الدراسة عند البصريين

إن البصريين كانوا أكثر حرية و أقوى عقلا و طريقتهم أكثر تنظيما و خطتهم هي الاعتماد على الشواهد الموثوق بها، الكثيرة الدوران على السنة العرب التي تصلح للثقة فيها أن تكون قاعدة تتبع. ولن يكون ذلك إلا إذا وردت في كتاب الله الكريم أو نطق بها العرب الخلص الذين اعترف لهم بالفصاحة لبعدهم عن مطنة الخطاء، كالاتصال بالأعاجم سواء بالرحلة أو الجوار، أو لرسوخ قدمهم في اللغة و تبصرهم بها، و اطلاعهم عليها ككبار العلماء و الأدباء، هؤلاء الذين يمكن أن توضع أقوالهم موضع الاعتبار. لذلك لم يكن بدعا أن ترى السيوطي يقول، اتفقوا على أن البصريين اصح قياسا، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع و لا يقيسون على الشاذ. في الحقيقة، نحاة البصرة تأثروا بالبيئة البصرية و نهج المعتزلة و تأثروا بهم في الاعتداد بالعقل و طرح كل ما يتعارض معه، فأهملوا الشواذ في اللغة، لهذا سمى نحاة البصرة أهل المنطق. (2)ومن الأمور التي تراعيها مدرسة البصرة في بحثها الآتي:

أولا : المادة العلمية :

اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان ولدلك اختاروا من بين القبائل التي اعتمدوا عليها القبائل المقطوع بعراقتها في العربية , والمصونة فطرتهم من رطانة الحضارة الأجنبية فاختاروا من العرب قيسا وتميما وأسدا فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء في اللغة والإعراب والتصريف ثم اخذوا من هديل وبعض كنانة وبعض الطائيين , ولم يأخذوا عن حضري ولا من سكان البراري ممن كان يجاور الأمم الأخرى ومن هنا رفضوا الأخذ من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر , ولم يأخذوا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد لمجاورتهم أهل الشام , ولا من النمر لمجاورتهم اليونان , ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس .

ثانيا: اختيار سلامة لغة المأخوذ عنهم :

كان البصريون يختبرون سلامة لغة من يشكون في أمره , ممن سبق من القبائل الفصيحة ويروي ابن جني في ذلك فيقول : ومن ذلك ما يحكي أن أبا عمرو بن العلاء استضعف فصاحة أعرابي يسمى : أبا خيرة لما سأله فقال: كيف تقول : استأصل الله عرقاتهن ؟ ففتح أبو خيرة التاء من عرقاتهن فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرة لأن جلدك وهذا يعني أن اللحن أو ما يشبه ذلك رى إلى الأعراب , لأن أبا عمرو كان قد سمع أبا خيرة يروي الشاهد بالكسر , فلم يتردد في مؤاخذة أبي خيرة , وهو أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة , باللحن وذلك لتقدمه في السن وطول مخالطته لأهل الحواضر.

ثالثا: التأكد من الثقات في صحة المروي:

كان البصريون يتحرون عن الرواة فلا يأخذون إلا برواية الثقات الذين سمعوا اللغة من الفصحاء عن طريق الحفظة والأثبات الذين بذلوا الجهد في نقل المرويات عن قائليها منسوبة إليهم فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله .

رابعا: كمية المقيس عليه المنقول عند العرب:

اشترط البصريون فيما ينقل عن العرب الكثرة الكاثرة فيقعدون على الأكثر وإلا فعلى الكثير, وإلا فعلى القليل , وإلا فعلى الأقل , وإلا فعلى النادر ,وإلا قاسوا الأشباه على الأشباه , والنظائر على النظائر إذا لم يتناقص مع الوارد ولدا اعتبر سيبويه قياس فعولة بفعيلة في النسب إليها بحذف حرف المد وقلب الضمة فتحة وإن لم يرد منها إلا شنيء في النسب إلى شنوءه , لأنه لم يرد ما يخالفها فإذا ما خالف الوارد ما سبق من قياس أولوه أو اعتبروه شاذا يحفظ ولا يقاس عليه وقد ينكرونه أو يقولون إنه ضرورة .

مصادر الدراسة عند البصريين:

اعتمد البصريون في دراستهم طائفة من المصادر وهي:

1-القرآن الكريم

أقام البصريون نحوهم على القرآن الكريم حيث كانوا يستشهدون في كثير من المسائل بآيات من القرآن الكريم , فكان القرآن أحد مصادرهم المهمة والأساسية.

2-الشعر العربي:

اعتمد البصريون الشعر العربي أصلا من أصولهم في الاستشهاد على صحة المسألة , كما اعتمدوا على الشعر الإسلامي فاستشهدوا في نحوهم بشعر الفرزدق وجرير وأراجيز العجاج ورؤبة وأبي النجم وفي بعض الأحيان يتجاوزون الحقبة التي وقفوا عندها في استشهادهم فقد جاء الاقتراح للسيوطي فيما رواه ثعلب عن الأصمعي : أن إبراهيم بن هرمة أخر من يحتج به , ومن المعلوم أن ابن هرمة هذا قد ولد سنة تسعين للهجرة وعمر طويلا حتى تجاوز منتصف القرن الثاني . كما أن أوائل البصريين قد اطمأنوا إلى سلامة لغة جماعة من العلماء ممن ينتمون إلى أصول غير عربية , فقد جاء أبا عمرو بن العلاء قد قال في الحسن البصري :" ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف الثقفي , فقيل له : فأيهما أفصح فقال: الحسن " وقد أشار الجاحظ إلى أن هدا , وذهب إلى أن هؤلاء الفصحاء الذين ينتمون إلى أصل غير عربي أبو علي الأسواري , وعمرو بن فائد الذي جلس يعظ في مسجده نحو ست وثلاثين سنة وقد كان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به .إذن يمكننا القول أن المادة التي احتج بها البصريون في وضع أصول العربية هي : لغة التنزيل والشعر العربي القديم جاهليه وإسلاميه وما أثر من الأمثال الجاهلية.

من أشهر علماء مدرسة البصرة:

1-**سيبويه**: هو عمرو بن عثمان بن قنبر , من موالي بني الحارث ابن كعب , فارسي الأصل والمولد , بصري النشأة عاش عمرا قصيرا , وتوفي(180 هـ)على أقرب الروايات , ومع ذلك فقد قدم للعربية أهم كتاب في تاريخها الطويل .و(الكتاب) هكذا بدون عنوان عرف بأنه (قرآن النحو) أي هو (الكتاب) الذي اتبعه النحويون والحق أن التغيير الذي طرأ على النحو كما قدمه سيبويه ليس تغييرا في الجوهر.

يقول القفطي في نزهة الألبا: يقال أن أبا الحسن الأخفش لما رأى أن كتاب سيبويه لا نظير له في حسنه وصحته ، وانه جامع لأصول النحو وفروعه استحسنه كل الإحسان فيقال :إن أبا عمر الجرمي وأبا عثمان المازني وكانا رفيقين توهما أ أبا الحسن الخفش قد هم أن يدعي لنفسه فقال أحدهما كيف السبيل إلى إظهار الكتاب ومنع الأخفش من ادعائه ؟ فقال له أن نقرأه عليه فإذا قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويهفلا يمكن أن يدعيه .

وكان أبو عمر الجرمي موسرا وأبوعثمان المازني معسرا فارغب أبو عمر الجرمي أبا لحسن الأخفش وبذل له شيئا من المال على أن يقرأه وأبو عثمان المازني الكتاب فاجاب إلى ذلك. وشرعا في القراءة عليه وأخذ الكتاب عنه وأظهر أنه لسيبويه وأشاعا ذلك فلم يمكن أبو الحسن أن يدعي الكتاب ، فكانا السبب في إظهار أنه لسيبويه ولم يسند كتاب سيبويه إليه الا بطريق الأخفش فإن كل الطرق مستند فيها إليه .

ويقول الاستاذ علي النجدي : وكأن الله في عدله وحكمته صرف سيبويه عن تسمية كتابه وندب العلماء لتسميته عنه لتكون شهادة فضل يؤديها الحاسد الشانيء كما يؤديها له الولي الحميم على سواء ويكون منها بعد مماته عزاء عن الهزيمة التي هزمها ببغداد أمام الكسائي والمعروف بالمناظرة على المسئلة الزنبورية، وسنأتي على تفصيله، ومن الواضح أن سيبويه لم يكن لف الفضل الأكبر في تأليف الكتاب بل أخذ معظمه عن أستاذه الخليل بن أحمد . فكلما قال سيبويه: (سألته) أو قال (قال) من غير أن يذكر قائله فهو الخليل بن أحمد .

وقد كان القدماء يضعون (الكتاب) في المحل الأول , فقد قال أبو عثمان المازني : (من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح) .

وقال الجاحظ : (أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك وزير المعتصم ففكرت في شيء أهديه له , فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه , فلما وصلت إليه قلت له : لم أجد شيئا أهديه لك مثل هذا الكتاب , وقد اشتريته من ميراث الفراء , فقال : والله ما أهديت لي شيئا أحب إلي منه . وروي أن الجاحظ لما وصل إلى ابن الزيات بكتاب سيبويه أعلمه به قبل إحضاره فقال له ابن الزيات : أو ظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ: ما ظننت ذلك , ولكنها بخط الفراء , ومقابلة الكسائي , وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ , يعني نفسه , فقال ابن الزيات: هذه أجل نسخة توجد وأعزها , فأحضرها إليه , فسر بها ووقعت منه أجمل موقع).

وقد توفر عدد كبير من العلماء القدامى على شرح (الكتاب) وتعليمه , أشهرهم أبو سعيد السيرافي , ثم المبرد وعلي بن سليمان الأخفش , والرماني , وابن السراج , والزمخشري , وغيرهم . ولقد نشر الكتاب لأول مرة المستشرق الفرنسي ديرنبور Derenbourg **في جزأين بباريس** 18 .(89,1881**ثم نشر الكتاب بعد ذلك في القاهرة في مطبعة بولاق في جزأين ،** (1318**هـ**),1316 **هـ وهي أحسن الطبعات المتوافرة ضبطا وذقه , وبهامشها نتف من شرح أبي سعيد السيرافي على الكتاب . وأخيرا قدم الأستاذ عبد السلام هارون نشرة جديدة للكتاب صدرت في خمسة أجزاء يحتوي الجزء الخامس منها على فهارس قيمة تعين الدارس على الرجوع إلى مبتغاه في شيء من اليسر.**

سيبويه والمسألة الزنبورية

ذلك عنوان أشهر مناظرة في تاريخ علم النحو ، جمعت بين إمامين عظيمين ، عالم النحو وأسطورته سيبويه ، وشيخ القراءات وعلوم اللغة الكسائي ، فكيف حدثت هذه المناظرة ؟ ولمن كانت الغلبة ؟

سيبويه يتوجه إلى بغداد

فيما يروى من مصادر مختلفة ، أن أسطورة زمانه في علم النحو سيبويه قصد بغداد قادما من البصرة ، لقضاء حوائج خاصة به ، وفي رواية أخرى لضائقة مالية جعلته يمر بضيق وشدة ، وحدث أن قصد وزير هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي ، فأكرمه وأوسع له ، واستقبله بحفاوة ، وبعد أن طاب المستقر لسيبويه طلب من الوزير ، وفي رواية أخرى عُرض عليه أن يناظر زعيم مدرسة النحو في الكوفة ، العالم الجليل الكسائي ، فوافق على ذلك مسرورا ما دام الغرض من هذه المناظرة الخروج بالعلم والفائدة.

ومن المعلوم أن أشهر مدرستين اختصتا بدراسة وتدريس علم النحو وفنونه ، مدرسة الكوفة بزعامة الكسائي ، ومدرسة البصرة بزعامة سيبويه الذي أثبت نفسه وغزارة علمه بالرغم من كونه شابا يافعا ، ولا عجب من ذلك ، فهو تلميذ العالم الكبير واضع علم العروض ، ومفصّل أسماء البحور الشعرية ، الخليل بن أحمد الفراهيدي . وبالرغم من اختلاف المدرستين في كثير من المسائل النحوية ، إلا أن هدفهم الخالص كان خدمة لغة القرآن . اجتمع سادة القوم ووجهائهم ، وأمر الوزير يحيى بتوفير أطيب الأماكن ليرتاح العالمين في مناظرتهما ، وبدأت المناظرة...

في الحقيقة هي مسائل كثيرة ناقشها كل من سيبويه والكسائي ، فأظهر كل واحد منهما براعته ومهارته ، لكن المحور الأهم في المناظرة كلها كان حول المسألة الزنبورية وهو سؤال وجهه الكسائي لسيبويه قائلا ، الكسائي : كيف تقول:

كنتُ أظن أن العقربَ أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي ، أم فإذا هو إياها ؟

الزنبور : حشرة تشبه النحلة ولسعتها جدا مؤلمة.

فقال سيبويه : فإذا هو هيَ ، ولا يجوز النصب.

الكسائي : لقد أخطأت ، بل الصحيح النصب فنقول : فإذا هو إياها.

وطال النقاش حيث يروي البعض أن سيبويه برع وأجاد في تقديم حججه ودلائله ، إلى أن وصلا إلى سؤال الكسائي حيث قال:

الكسائي : كيف تقول : خرجتُ فإذا عبد الله القائمَ ، أو القائمُ ؟

سيبويه : فإذا عبد الله القائمُ ، ولا يجوز النصب أيضا.

الكسائي : العرب ترفع ذلك كله وتنصبه كذلك.

وطال الخلاف بينهما والذي دار مجمله على الرفع والنصب وأصل ذلك كله مسألة الزنبور ، فعرض عليه الكسائي أن يتم إحضار مجموعة من الأعراب الأقحاح الذين ينطقون باللغة السليمة فطرة ، فوافق على ذلك ، وهنا نفتح القوس أمام مجموعة من الروايات المختلفة التي يدور بعضها على أن الكسائي وأصحابه أقنعوا الأعراب بأن ينتصروا له ، لكن العلماء الثقاة يكذّبون هذه الروايات نظرا لاسم الإمام الجليل الكسائي الذي وهب حياته للعلم والدراسة ، وبالتالي مستحيل أن يلجأ لمثل هذه الأعمال.

لكن الأرجح أن في الأمر تدخل سياسي من وراء الكواليس جعل أصحاب القصر يقنعون الأعراب بأن يقفوا بصف الكسائي ، وبالفعل حينما وقفوا أمامهما وسألهم عن صحة القول ، رجحوا كفة الكسائي ، فطلب منهم سيبويه أن يؤكدوا ذلك وينطقون الجملة ، فلم تطاوعهم ألسنتهم على ذلك وتهربوا ، وفي ذلك إشارة على أن سيبويه محق.

فلم يكن لسيبويه إلا الإذعان للأمر ، وقبل أن يرحل أعطاه الوزير كيسا مليئا بالمال ، فقصد سيبويه بلاد فارس وفي قلبه شيء كبير من هذه المناظرة ، ولم تمض سوى مدة قصيرة حتى مات . وبغض النظر عن حيثيات هذه المناظرة أو ماهية المنتصر ، فسيتبين لنا مدى عناية سلفنا بالعلوم والدراسة والتقدم ، لأجل الرقي بالأمة وحضارتها .

2- المبرد: هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد , أحد الأعلام الكبار في تاريخ العربية أدبا ولغة يشغل مكانه مهمة في التاريخ النحوي لأن رياسة النحو البصري انتهت إليه , على حين انتهت رياسة النحو الكوفي إلى معاصره ثغلب , وعن طريق الأخذ عنهما نشأ مذهب نحوي جديد هو المذهب البغدادي.

ولد المبرد بالبصرة أوائل القرن الثالث (210 هـ تقريبا) , وبها نشأ وتلمذ للجرمي وأبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وغيرهم من شيوخ البصرة , درس كتاب سيبويه وأحاط به ونقد بعض ما فيه بعد ذلك , على أن (الكتاب) ظل مسيطرا عليه سيطرة تكاد تكون كاملة مما نلحظ مظاهرة في المقتضب الذي نختار لك منه نصا.

انتقل المبرد إلى سر من رأى أيام المتوكل ثم انتقل إلى بغداد بعد مقتله , وبها استقر , وفيها معاصرته لتغلب , ومناظرته اللغوية معه التي أثرت النشاط العلمي في بغداد حينذاك والتي حولت التعصب المدرسي إلى الأخذ عنهما معا والانتقاء من كلا المذهبين . وقد تلمذ للمبرد عدد من كبار النحاة منهم الزجاج وأبو بكر بن السراج , وقدم للعربية عددا من الآثار العلمية أهمها (الكامل) الذي عده القدماء واحدا من أربعة كتب في الأدب.

نوفي المبرد 285 هـ أي أنه عاش خمسا وسبعين سنة . ألف كتابه المقتضب بآخرة من عمره , بعد أن اكتملت أدواته العلمية وبعد أن نضجت معارفه , والكتاب يمثل المذهب البصري خير تمثيل , ولئن كان المبرد أن يناقش سيبويه فإن تأثير الكتاب فيه لا يحتاج إلى دليل.

نهض بتحقيق الكتاب تحقيقا ممتازا الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة في أربعة أجزاء زود آخرها بفهارس فنية تقدم خدمة علمية جليلة لدراسة , ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

2 –المدرسة الكوفية:

يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: (لقد عرفت الكوفة كما عرفت البصرة، فكلتاهما مِصران قد مَصَّرهما المسلمون واشتهر كل منهما طوال التاريخ الإسلامي، وشغلتا مكانًا واضحًا في القرنين الثاني والثالث، وكان لكل منهما أثر في السياسة، فقد عرفت الكوفة بعلويتها كما عُرفت البصرة بعثمانيتها.

وكان أهل المصرين على اتصال فيما بينهم، وأنت لا تعدم أن تجد بصريين قد استوطنوا الكوفة لغرض ما، كما تجد كوفيين آخرين اتخذوا البصرة سكنًا لهم، وكانت الكوفة مركزًا من مراكز العلم كما كانت البصرة، ولسنا على يقين تام في سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين، إلا ما كان من ذلك في العلوم اللغوية، فقد عرف النحو في البصرة، قبل الكوفة(، وقال أيضًا: (إن النحو الكوفي بدأ بظهور أبي جعفر الرؤاسي، وقد تلمذ له الكسائي والفراء).

وقال الأستاذ شوقي ضيف: (تركت الكوفة للبصرة وضع نَقْط الإعراب في الذكر الحكيم ووضع نقط الإعجام، والأنظار النحوية والصرفية الأولى التي تبلورت عند ابن أبي إسحاق، والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل؛ إذ كانت في شغل عن كل ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه وبالقراءات وروايتها رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة، وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعتْ قراءاتهم في العالم العربي، وهم عاصم وحمزة والكسائي.

وعنيت بجانب ذلك عناية واسعة برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر، وإن كانتْ لم تعنَ بالتحري والتثبت فيما جمعتْ مِن أشعار، حتى ليقول أبو الطيب اللغوي: (الشعر بالكوفة أكثرُ وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يَقُلْه، وذلك بَيِّن في دواوينهم)، جعل المعنيون بتاريخ النحو القديم بداية النحو الكوفي موصولة بأبي جعفر الرؤاسي، وإلى مثل هذا ذهب المعاصرون، فقد قيل: إن لأبي جعفر الرؤاسي كتابًا في النحو قد اطلع عليه الخليل بن أحمد وانتفع به، وكان هذا هو الذي جعل المعاصرين يذهبون إلى

التنافس المزعوم بين الخليل والرؤاس، على أن من العلم أن نقول: إن النحو الكوفي بدأ بظهور أبي جعفر الرؤاسي، وقد تلمذ له الكسائي والفراء، وقد ذكر أبو البركات ابن الأنباري أن له كتاب (الفيصل)، وكان ثعلب قد أشار إلى أنه أول كتاب في نحو الكوفيين، وكتاب (التصغير)، وكتاب (معاني القرآن)، وأشار ابن النديم إلى أن هذا الكتاب كان يُروى إلى أيامه، وكتاب (الوقف والابتداء).

والرؤاسي فيقول مترجموه: إنه أخذ النحو عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وعاد إلى الكوفة فتلمذ عليه الكسائي، وألف لتلاميذه كتابًا في النحو سماه (الفيصل)، وكان يزعم أن كل ما في كتاب سيبويه من قوله: (وقال الكوفي) إنما يعنيه، غير أن الكتاب يخلو خلوًا تامًا من هذه الكلمة، وإن كان قد ذكر أهل الكوفة مع بعض القراءات في ثلاثة مواضع).

ويتابع قائلًا: (إنما يبدأ النحو الكوفي بدءًا حقيقيًا بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسَمَا صورة هذا النحو ووضَعَا أسسه وأصوله، وأعدًا له بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصُه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدماته ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه).

أخذ الكسائي العلم عن أئمة البصرة ثم رجع إلى الكوفة فوضع أسس المدرسة الكوفية التي اعتمدت على الاتساع في رواية الأشعار وجعله أصلاً يقيس عليه. ثم تبعه الفراء الذي على يديه تكامل المنهج الكوفي واتضحت ملامحه.

ثم تتابع العلماء الكوفيون من بعدهم على استظهار آراء المدرسة الكوفية حتى غدت مدرسة مستقلة بأصولها وقواعدها تنافس المدرسة البصرية، وجاء العلماء فسجلوا آراء المدرستين عند عرضهم للمسائل المختلفة كما فعل ابن الأنباري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) وغيرها من كتب الخلاف

أهم علماء المدرسة الكوفية:

إن لكل مدرسةٍ رجالًا، وإن لهذه المدرسة رجالًا، حملوا دعائمَ هذه المدرسة بهمةٍ، فنهضوا بها، وأعلوا شأنها، ومِن رجال مدرسة الكوفة علماء أجلاء، وجنود أوفياء، قاموا بساعد الجد والعزيمة، فسعوا لنشر مذهبهم، وهم على طبقات ونفصل القول في بعضهم :

•الرؤاسي:

هو أبو جعفر محمد بن الحسن، مولى محمد بن كعب القرظي، لقب بالرؤاسي لكِبَر رأسه، نشأ بالكوفة، وورد البصرة فأخذ عن "أبي عمرو بن العلاء" وغيره مِن علماء الطبقة الثانية البصرية، ثم قفل إلى الكوفة، واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ وغيره، فتكونت الطبقة الأولى الكوفية، وكان إمامًا بالنحو بارعًا في اللغة، وهو أستاذ أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي والفراء، ثم صنَّف كتابه (الفيصل) في النحو، ومعلوم أن الخليل بعث إلى الرؤاسي يطلبه فأرسله إليه، وأن سيبويه نقل في كتابه عنه كما نقل عن البصريين، فإلى الرؤاسي يرجع بدء النحو في الكوفة دراسة وتأليفًا، فهو رأس الطبقة الأولى الكوفية، وكتابه أول مُؤلَّف في النحو بالكوفة، توفي بالكوفة في عهد الرشيد؟.

الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة: مولى بني أسد، فارسي الأصل، سئل عن تلقيبه بالكسائي فقال: (لأني أحرمت في كساء)، وقيل في السبب: لأنه كان يلبس كساء أسود ثمينًا، وُلد بالكوفة في سنة تسع عشرة ومائة للهجرة، ونشأ بها، وأكبَّ منذ نشأته على حلقات القرَّاء، وتعلَّم النحو على كبر؛ ذلك لأنه حادث قومًا من الهباريين لحنوه فأنف من التخطئة، وقام مِن فوره وطفق يتعلم النحو، فأخذ عن معاذ الهراء ما عنده، ثم توجه تلقاء البصرة، فتلقى عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب المناظرات، له مصنفات كثيرة، منها في النحو مختصر، ولما ذاعت شهرته طلبه المهدي ليتخذه مؤدبًا لابنه هارون الرشيد، حتى إذا

ولي الخلافة بعد أبيه اتخذه مؤدبًا لابنيه الأمين والمأمون، خرج مع هارون الرشيد ومعه صاحبه محمد بن الحسن الشيباني في رحلته إلى فارس حتى كانوا في رنبويه (بلد قرب الرَّي)، وأحس الكسائي بقرب المنية ثم مات هو ومحمد، فقال الرشيد: اليوم دفنت الفقه والنحو برنبويه، وذلك سنة 189هـ.

• الأحمر:

هو أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بالأحمر، كان جنديًّا مِن رجال النوبة على باب الرشيد، ثم سَمَتْ نفسُه إلى العلم، فكان يترصد في الطريق الكسائي عند حضوره للرشيد ويسير في ركابه وبحاشيته جيئة وذهابًا، يستفيد منه المسألة بعد الأخرى، حتى عُدَّ في أصحاب الكسائي، وناظر سيبويه عند مقدمه بغداد كما سلف، فلما أصيب الكسائي بالبرص، وكره الرشيد ملازمته أولاده، فأشار عليه باختيار نائب عنه، فاستخلف الأحمر إبقاء على مجده واطمئنانًا منه على خضوع الأحمر له، وعاهد الأحمر على أن يلقنه يومًا فيومًا ما يُؤدِّب به أولاد الخليفة، وكان الأحمر يقظًا فطنًا، فأجاد التعلم والتعليم حتى قُدم على سائر أصحاب الكسائي، وتبوأ مكانته، ونعم بسعة العيش، وقد أملى شواهد نحوية واجتمع عليه الناس، وصنف كتاب التصريف، ومات بطريق الحج سنة 194هـ.

• الفراء:

هو أبو زكريا يحيى بن زياد، مولى بني أسد، لقب بالفراء (لأنه كان يفري الكلام)، ولد بالكوفة من أصل فارسي، وتلقى عن (الكسائي) وغيره، وتبحَّر في علوم متنوعة، فكان فذًّا في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها، والطب والفلسفة والنجوم، وتقصى أطراف علم النحو حتى قيل فيه: (الفراء أمير المؤمنين في النحو، وهو الذي قال: أموت وفي نفسي شيء من حتى؛ لأنها ترفع وتنصب وتخفض).

وأحاطه الخليفة برعايته، ورغب إليه أن يؤدب ابنيه، كما اقترح عليه أن يؤلف كتابًا يجمع أصول النحو، وهيأ له دارًا خاصة فيها وسائل النعيم متكاملة، فأخرج له كتاب (الحدود) بعد سنتين، وما زال الفراء وجيهًا عند المأمون، مغبوط المنزلة بين الأمة، يؤلف ويفيض علمه حتى توفي سنة 207هـ.

- **ثعلب:**

هو أبو العباس أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب، مولى بنى شيبان، ولد ببغداد في عصرها الذهبي سنة مئتان للهجرة، ألحقه أبوه منذ نعومة أظفاره بكتّاب تعلّم فيه الكتابة وحفظ القرآن الكريم وشَدَا بعض الأشعار، وتلقى عن ابن الأعرابي وابن قادم وسلمة بن عاصم وغيرهم، غير أنه كان للنحو من بين علوم اللغة العربية النصيب الأوفى مِن عنايته، واعتماده فيه كان على سلمة بن عاص، وهبه الله حافظة واعية، مكّنته أن يستظهر ما يقرؤه، فحفظ كتب الكسائي والفراء، واستطاع أن يقرأ بنفسه كتاب سيبويه، فتزعم رياسة النحو للكوفيين، إلا أنه كان لا يحبذ القياس، اتصل بالخلفاء والأمراء كأسلافه الكوفيين، فأدَّب ابن المعتز وابن طاهر، وجمعتْ بغداد بينه وبين أبي العباس المبرد زعيم البصريين الذي نافسه شرف الرياسة العلمية والزلفى عند الخلفاء والأمراء، فكانتْ بينهما مناظرات، وكان المبرد يتطلَّب لقيا ثعلب كثيرًا فيراوغه ويتلكَّأ عن إجابته، ولثعلب مُجالَسةٌ مع الرياشي أيضًا، له مصنفات شتى منها في النحو: اختلاف النحويين وكتاب (المجالس)، وكانت وفاته ببغداد من صدمة دابة له في الطريق، لم يسمع وقع حوافرها وراءه لصممه، سنة 291هـ عن ثروة كبيرة.

وقد وقف الكوفيون من هذا البناء العلمي المحكم موقفًا يدل على نقص فهمهم لما ينبغي للقواعد العلمية مِن سلامة واطراد؛ إذ اعتدوا بأقوال وأشعار المتحضرين من العرب، كما اعتدوا بالأشعار والأقوال الشاذة التي سمعوها على ألسنة الفصحاء مما خرج على قواعد البصريين وأقيستهم ومما نعتوه بالخطأ والغلط.

الخلاف بين المدرستين:

جاء في كتاب شوقي ضيف: لعل أهم ما يميز المدرسة الكوفية من المدرسة البصرية اتساعها في رواية الأشعار وعبارات اللغة عن جميع العرب بدويهم وحضريهم، وقد كان أئمة الكوفة يرحلون إلى قبائل البدو الفصيحة، وكانوا يأخذون عمن سكن من العرب في حواضر العراق.

وقد حَمَل البصريون على الكوفيين حملات شعواء حين وجدوهم يتسعون في الرواية، وخصوا الكسائي بكثير من هذه الحملات قائلين: (إنه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلًا ويقيس عليه حتى أفسد النحو)! وكان ذلك بدءًا لخلاف واسع بين المدرستين؛ فالبصرة تتشَدَّد في فصاحة العربي الذي تأخذ عنه اللغة والشعر، والكوفة تتساهل، وامتد هذا الاتساع في القياس وضبط القواعد الفقهية، ذلك أن البصريين اشترطوا في الشواهد المستمد منها القياس أن تكون جارية على ألسنة العرب الفصحاء، وأن تكون كثيرة بحيث تمَثّل اللهجة الفصحى، وبحيث يمكن أن تستنتج منها القاعدة المطردة.

وبدأت شرارة الخلاف النحوي بين علمين من أعلام هاتين المدرستين هما الخليل بن أحمد البصري وأبو جعفر الرؤاسي الكوفي، إلا أنه كان خلافاً شخصياً لم يأخذ طريقه إلى المنهجية، ثم ترسخ هذا الخلاف أكثر في عهد سيبويه والكسائي اللذين على يديهما اتضحت معالم المدرستين وأخذت الطابع المنهجي، وتعمق الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة أكثر حتى غدا شبيهاً بالصراع واتخذ مظاهر متعددة كالمجالس والمناظرات والكتب الخلافية.

فروق منهجية بين المدرستين:

من الأمور المنهجية التي تفرق المدرسة الكوفية عن البصرية ويعطيها ملامح خاصة، وأهم مسائل الخلاف بين المدرستين يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أولاً: المسائل الأصولية

وهي المسائل الأساسية التي تقوم عليها منهج المدرسة، ويتمثل الخلاف فيها بالأمور الآتية:

1 -**السماع**

فالبصريون يقيمون قواعدهم على المسموع من كلام العرب الفصحاء ممن احتفظوا ببداوتهم ولم يختلطوا بأهل الحضر، لذا نراهم يحصرون القبائل التي يسمعون منها، مع التحري عن صحة المسموع فلا يأخذون إلا برواية الثقات ، حتى قال أحدالبصريين للكوفيين:نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريزوباعة الكواميخ، ولقد ذكر الفارابي كيف كان البصريون يأخذون عن قيس وتميم وأسد وهذيل وطي وهم قبائل الفصاحة.

أما الكوفيون فمع اعتمادهم على هؤلاء توسعوا في الأخذ عن غيرهم، فيسمعون من كل العرب والفاف من أعراب الحواضر يعتبرون المسموع منهم شاهداً يبنون عليه قواعدهم، ولم يشددوا في التثبت من وثاقة الراوي وأمانته. مع أن الكسائي رحل إلى البادية اقتداء بخليل بن أحمد الفراهيدي واستنفذ في ذلك خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن الاعراب وحفظ غير ذلك نجده يستعين بأعراب الحطيمة الواقفين بباب الرشيد لينصروه على سيبويه في المناظرة المشهورة، ومن هنا يقول اليزيدي من النحاة البصريين:

كنا نقيس النحو فيما مضى ... على لسان العرب الأول

فجاء أقوام يقيسونه ....على لغى أشياخ قطربل

فكلهم يعمل في نقض ما ... به يصاب الحق لا يأتلي

إن الكسائي وأصحابه ... يرقون في النحو إلى أسفل

2 -**القياس**

البصريون يقيسون على الكثير ويقعدون عليه وجعلوه شرط الصحة، وما خالف قياسهم أولوه أو اعتبروه شاذاً أو نادراً يحفظ ولا يقاس عليه أو غيرها من التوجيهات. وقد روي عن البصري أبي عمرو بن العلاء أنه كان يعتد بالكثير ويسمي القليل لغات ولايقيس عليه وإنما يدخله تحت العبارة المشهورة: يحفظ ولا يقاس عليه. وكان تمسك البصريين بهذا الموقف رغبة منهم في الوصول بالنحو إلى مرتبة العلم المضبوط.

ولم يعتبر الكوفيون بالكثرة بل نجدهم يقيسون على الشاهد الواحد، فما اعتبره البصريون شاذاً قبله الكوفيون وجعلوه قاعدة.فربما أراد الكوفيون بهذا الموقف غاية بذيلة تتناسب مع الطابع النقلي الغالب على أفكارهم، وقصدوا باعتدادهم بالقليل ألأيهدروا نصا اعتبروه فصيحا ؛ ومن ثم كان من قواعدهم الأصولية التي خالفوا بها البصريين : " كثرة الاستعمال تفيد ترك القياس والخروج عن الاصل".

ثانياً: الموضوعات النحوية:

استعمل الكوفيون مصطلحات غير ما أشاعه البصريون من مصطلحات اللنحو فقد استقل الكوفيون بعدد من هذه المصطلحات نسي الكثير منها مع مرور الزمن وتسرب بعضها الآخر إلى شروح المتأخرين ولكن نقاد النحاة ينحون على الكوفيين باللوم لعدم تدقيقهم في المصطلح بصورة عامة يقول ابن السراج في كتابه الأصول: " واعلم أن الشياء التي يسميها البصريون ظروفا يسميها الكسائي صفة والفراء يسميها محال ويخلطون السماء بالحروف فيقولون حروف الخفض أمام قدام وخلف وقبل وشطر وقرب.....ومع وعن وعلى.....ودون وتحت وفوقوقبال وخيال....وأجل إجل إجلى وميداء وميتاء والمعنى واحد بمنزلة حذاء ".

ويعلق ابن السراج قائلا: " فيخلطون الحروف بالاسماء والشاذ بالشائع " وهكذا يؤكد ابن السراج فكرة الخلط.

ومن البديهي أن ينعكس الخلاف في الأصول على القواعد النحوية، وبالنتيجة يكون الخلاف فيها أكثر وأعمق، ولو رجعنا إلى الكتب التي تحدثت عن المسائل الخلافية الفرعية بين المدرستين لوجدنا فيها ما يزيد على مائة مسألة في هذا الجانب، ويعد كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) لابن الأنباري أول وأشمل كتاب وصل إلينا من الكتب الباحثة عن الخلاف، وقد أحصى فيه مؤلفه أكثر من مائة مسألة خلافية في اللغة والنحو والصرف بين المدرستين.

ولكي تتضح المفارقة أكثر علينا أن نعطي بعض المخالفات الخاصة بالمصطلح والخاصة بالأصول

نماذج من مصطلحات المدرسة الكوفية:

والتركيز هنا على المصطلح الكوفي لغربته ولاكتمال حق المصطلح تعليميا لدى البصريين وشيوعه في مؤلفات النحو حتى الآن، وتلك بعض مصطلحات كوفية ومايقابلها من المصطلحات البصرية :

(الخلاف) ، وهو عامل معنوي كانوا يجعلونه علة النصب في الظرف إذا وقع خبرًا، نحو: زيد أمامك، بينما كان البصريون يجعلون الظرف متعلقًا بمحذوف خبر للمبتدأ السابق له.

(الصرف)، جعله الفراء علة لنصب المفعول معه، في مثل :جاء زيد وطلوع الشمس ، وذهب جمهور البصريين على أنه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو.

(التقريب)، وقد اختصوا به اسم الإشارة (هذا) في مثل: (هذا زيد قائمًا)، وجعلوه من أخوات كان؛ أي: إنه يليه اسم وخبر منصوب، بينما يعرب البصريون "قائمًا" حال، ويجعلون ما قبلها مبتدأ وخبرًا.

(النعت) وهو الصفة عند البصريين.

(القطع) هو الحال عند البصريين في نحو: رأيت زيدا ظريفا

(المكنى والكناية)، ويقصدون به الضمير عند البصريين،

(المجهول) كانوا يصطلحون على تسمية ضمير الشأن عند البصريين ، في مثل (إنه اليوم حار)

(العماد)وهو ضمير الفصل عند البصريين، في مثل محمد هو الشاعر.

(شبه الفعل) كانوا يطلقون هذه الكلمة على المفعول فيه أو المفعول المطلق أو المفعول له أو المفعول معه عند البصريين، أما المفعول يطلقون على المفعول بهدون غيره.

(الصفة والمحل) الظرف عند البصريين.

(الترجمة) تساوي البدل عند البصريين

(التفسير)مقابل التمييز عند البصريين

(لا التبرئة)وهو لا النافية للجنس عند البصرييننفي مثل: (لا رجل في الدار) .

(الحشو أو الصلة) وهو حروف الزائد عند البصريين

(حروف الجحد) هي حروف النفي أي الإنكارعند البصريين ،

(ما يجري وما لا يجريه)هو المصروف والممنوع من الصرف عند البصريين

(لام القسم) هو لام الابتداء عند البصريين في (لمحمد شاعر) زاعمين أن الجملة جواب لقسم مقدر.

(الفعل الدائم) مقابل اسم الفاعل في اصطلاح البصريين.

(عطف النسق) وهو العطف بالحرف عند البصريين.

(الخلف) وهي الصفة التي قامت مقام الموصوف نحو قوله تعالى : ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾.

ويقوم الأستاذ تمام حسان بعرض نماذج لأصول بصرية يرفضها الكوفيون وأصول كوفية يرفضها البصريون منها:

أولا: أصول بصرية يرفضها الكوفيون:

1. **المصير إلى ما له نظير في كلامهم أولى من المصير إلى ماليس له نظير .**
2. **لايجوز الجمع بين علامتي تأنيث.**
3. **لايجوز إضافة الشيء إلى نفسه.**
4. **إذا ركب الحرفان بطل عمل كل منهما منفردا.**
5. **كل شيء خرج عن بابه زال تمكنه.**
6. **لايجوز رد الشيء إلى غير أصله.**
7. **الأصل في الشياء الا تعمل.**
8. **يجري الشيء مجرى الشيء إذا شابهه من وجهين.**
9. **المعمول لايقع إلاحيث يقع العامل.**

ثانيا: أصول كوفية يرفضها البصريون منها:

1. **كثرة الاستعمال تجيز ترك القياس والخروج عن الاصل.**
2. **الخلاف يعمل النصب.**
3. **كل ما جاز أن يكون صفة للنكرة جاز أن يكون حالا للمعرفة.**
4. **حروف الجر كلها أصلية.**
5. **الحذف لايكون في الحرف.**
6. **العمل على الجوار كثير.**
7. **كثرة الاستعمال تجيز الحذف.**
8. **الصل أقوى من الزائد عند الحذف.**
9. **المفرد من المبنيات إذا أضيف أعرب.**
10. **الحرف الساكن حاجز غير حصين.**

وهذه النماذج التي ذكرتها هي بعض الاختلافات عند هاتين المدرستين.

وهكذا تبين لدينا أثر هذه المدرسة العظيمة في خدمة لغة القرآن العظيم، والسنة المطَّرة، والحفاظ على لغة الأجداد من التحريف والزوال بالقواعد والمصطلحات، بغض النظر عن بعض الخلافات مع باقي المذاهب والمدارس النحوية، وقد بينت نشأة هذه المدرسة، وأبرز أعلامها وأهم أعمالها، وبعض نقاط الخلاف بينها وبين المدرسة البصرية.

وإليك الجدول فيه طبقات المدرستين :

أبو أسود الدؤلي والطبقة الأولى للبصريين:

نصر بن عاصم	عنبسة بن معدان	عبد الرحمن بن هرمز	يحيى بن يعمر

الطبقة الثانية للبصريين

عبدالله بن أبي اسحاق	عيسى بن عمرو	أبو عمرو بن العلاء

الطبقة الثالثة للبصريين:

الأخفش الأكبر	الخليل بن أحمد الفراهيدي	يونس بن حبيب

الطبقة الرابعة للبصريين:

سيبويه، عمرو بن عثمان	اليزيدي ، محمد بن يحيى	أبو زيد الأنصاري

الطبقة الخامسة للبصريين:

الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة	قطرب، أبو علي محمد بن المستنير

الطبقة السادسة للبصريين:

الجرمي، أبو عمرو صالح بن إسحاق	المازني، أبو عثمان بكر بن محمد	الرياشي، أبو العباس محمد بن يزيد

الطبقة السابعة للبصريين : المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد

الطبقة الأولى للكوفيين

الرؤاسي، أبو جعفر محمد بن الحسن **الهراء ، أبو مسلم معاذ**

الطبقة الثانية للكوفيين / الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة

الطبقة الثالثة للكوفيين

الأحمر، علي بن الحسن **الفراء، يحيى بن زياد** **اللحياني، علي بن المبارك**

الطبقة الرابعة للكوفيين

ابن سعدان، محمد بن سعدان **الطوال، عبدالله بن أحمد** **ابن قادم، محمد بن عبدالله**

الطبقة الخامسة للكوفيين / ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى

3 –المدرسة البغدادية

تمثل المدرسة البغدادية حالة وسطية بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية في قضايا نحوية كثيرة، إذ قامت على انتقاء ما رأته صحيحاً من المدرستين أو الاجتهاد في استنباط رأي جديد اذا لم تصح آراء نحاة المدرستين عندهم.

وتجسد موقفهم الجديد بوضوح في قضية الشواهد، فالنحاة لم يحتجوا بشعر المولدين وجعلوا إبراهيم بن هرمة القرشي (ت: 176هـ) آخر شاعر يحتج بشعره.

وخالفهم البغداديون فاحتجوا بشعرهم، فقد استشهد أبو علي الفارسي بشعر أبي تمام في قوله:

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الأماني لم يزل مهزولا

وللبغداديين آراء جديدة انفردوا بها في مسائل النحو لا نجدها عند المتقدمين من البصريين والكوفيين، كقولهم إن العبرة في تذكير العدد وتأنيثه بحال المعدود الجمع لا المعدود المفرد وغيرها من الآراء.

4 –المدرسة الأندلسية

كان النحو الأندلسي مقتصراً في أول انطلاقه على القواعد التي تلقاها نحاتهم من المشرق، فاكتفوا بانتقاء الصحيح من آراء المدرستين وقاموا بالاجتهاد في بعض القضايا التي لم يسلموا فيها برأي السابقين، وشملت اجتهاداتهم الأصول والقواعد.فابن مالك الجياني الأندلسي جدد في النحو بعض التجديد، إذ وسع دائرة السماع باستشهاده بالأحاديث، لذا عده ابن حيان أول المتقدمين والمتأخرين من النحاة احتجاجاً بالحديث وإكثاراً منه.

ومن مظاهر التجديد في النحو الأندلسي على مستوى الأصول هو ما جاء به ابن مضاء القرطبي من مطالبته بإلغاء نظرية العامل التي أثقلت النحو بالتعليلات والتأويلات والتقديرات، وما ترتب عليها من زيادة ألفاظ يفترضها النحاة دون حجة أو دليل، وإلغاء العلل الثواني والثوالث، والتمارين غير العملية وغيرها مما وردت في كتابه الرد على النحاة الذي مثل ثورة على النحو والنحاة.

وللأندلسيين آراء خالفوا فيها المدارس النحوية الأخرى في عدد من المسائل والموضوعات النحوية، كمسألة منع تعدد الخبر للمبتدأ الواحد وغيرها.

5 –المدرسة المصرية

بدأت الدراسات النحوية في مصر ببروز جيل من النحاة ممن ملأ ذكرهم الخافقين، فانتهجوا المنهج البغدادي في اختيار الصحيح من مدرستي البصرة والكوفة، وأضافوا جديداً في نطاق المسائل الفرعية من قبيل الاهتمام بالأدوات النحوية، واعتنائهم بالجملة العربية وتراكيبها، وصياغة القواعد النحوية على شكل منظومات شعرية وغيره.

ولهم آراء في القواعد تفردوا بها، كالقول إن لام التعريف العهدية مختصة بالأعيان والجنسية مختصة بالأذهان وغيرها من الآراء.

ولم يقتصر الخلاف على المدارس بل نجد أن أعلام المدرسة الواحدة يختلفون فيما بينهم اجتهاداً منهم في مسائل كثيرة من مسائل النحو، وهذه نماذج من مخالفات النحاة لمدرستهم في قواعد النحو:

ذهب البصريون إلى أن خبر المبتدأ إذا كان اسمًا محضًا لا يتضمّن ضميرًا يرجع إلى المبتدأ، وذهب علي بن عيسى الرُمَّانيّ من البصريين إلى أنه يتضمّن ضميرًا.

وذهب الكوفيون إلى أن (نِعْمَ – وبِئسَ) اسمان مُبْتدَآن، وذهب علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرَّفان.

الخلاصة:

وهكذا يتيه طالب النحو العربي بين زحمة المدارس المتعددة والآراء المختلفة والاجتهادات المتنوعة لا يدري أيها الحقيقة وأيها الباطل، فتبقى قضية الترجيح بينها رهينة الظنون والاحتمالات والاجتهادات الشخصية، لذا نجد أن الخلاف النحوي قائم لم يتحرر إلى يومنا هذا بين النحاة أنفسهم لعدم وجود قانون ثابت يحتكم إليه في حل الخلاف.

فالقول بصحة هذه القواعد النحوية وعدم جواز مخالفتها مع وجود مثل هذا الخلاف الواسع بين النحاة وبهذا الحجم رأي يجانب الصواب، فضلاً عن أن تكون هذه القواعد قانوناً لمعرفة خليفة الله.

قال تعالى: "قل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً."

المصادر والمراجع

1. إنباه الرواة على أنباء النحاة ، جمال الدين القفطي، ت. محمد أبي الفضل ابراهيم.
2. الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي، ت. د.شوقي ضيف، دار الفكر العربي.
3. طبقات النحويين واللغويين ، الزبيدي، مطبعة الخانجي 1954.
4. أخبار النحويين البصريين، أبي سعيد السيرافي، بيروت 1936.
5. الإنصاف في مسائل الخلاف أبي البركات بن الأنباري(ت573هـ)، ت.محمد محيي الدين عبد الحميد، الأستقامة /القاهرة ، 1964.
6. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، المفضل بن محمد مسعر التنوخي المعري(ت442هـ) ، ت. محمد عبدالفتاح الحلو ، الرياض، 1401هـ.
7. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف 1972م ، دار المنار ، القاهرة 1991.
8. المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ن دار المعارف.
9. المدارس النحوية، د.خديجة الحديثي.
10. حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث د. محمد ضاري حمادي، 1980.
11. إحياء النحو، ابراهيم مصطفى ، القاهرة،1968م.
12. سيبويه إمام النحاة ، علي النجدي ناصف ، عالم الكتب 1979.
13. الدراسات اللغوية في العراق ، د. عبدالجبار جعفر القزاز ، كلية الاداب جامعة البغداد 1976 .
14. المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنينالسابع والثامن من الهجرة د.عبدالعال سالم مكرم.دار الشروق بيروت، 1986م.

15. **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د.مهدي المخزومي، بيروت 1984.**

16. **نحو التيسير دراسة ونقد منهجي ، حمد عبدالستار الجواري، المجمع العلمي العراقي 1984م.**

17. **أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ،د. أحمد مكي النصاري، القاهرة 1964م.**

18. **ابو عثمان المازني ومذهبه في الصرف والنحو ، رشيد عبدالرحمن العبيدي بغداد ، م.سمان الأعظمي، 1969م.**